العدد 2485 - السنة التاسعة
الإثنين الموافق 6 يونيو 2016
Monday 6 June 2016 - No.2485 - 9th Year
إعداد : محمود عبدالراضي

مركز حضاري عالمي فريد تضم أكثر من 45 موقعاً أثرياً

«فيلكا» في عصور التاريخ القديم والحاضر القريب

صورة للجزيرة من السماء

جانب من آثار جزيرة فيلكا

جزيرة فيلكا هي كيان واصالة وعمق تاريخي وتراث الكويت وتعد مركزاً تراثيا وحضاريا عالميا فريدا لما تحويه أرضها من مواقع اثرية وكانت الجزيرة حلقة وصل ما بين الممرات التجارية والثقافية بين حضارات شمال الخليج العربي وجنوبه وتضم بين جنباتها 45 موقع اثريا. فجزيرة فيلكا موغلة في القدم إذ يعود تاريخ الآثار التي اكتشفت في ارضها الى أكثر من 3000 سنة قبل الميلاد، وحيثما تجولت في ارضها تصادفك بقايا أطلال وأساسات لدور سكنية ومقابر دارسة، وقرى لازال بعضها ينبض بالحياة، واخرى بقيت اسماؤها فقط تحكي عن أناس سكنوها في يوم ما وعمروها، بالاضافة الى بقايا معالم لعدد من الموانئ والمرافئ البحرية القديمة على طول شواطئها.

التسمية

شغل اسم الجزيرة معظم المؤرخين والباحثين والرحالين، فحاولوا أن يفسروه تفسيرا مناسبا، فتضاربت اقوالهم واختلفت آراؤهم، فمنهم من قال: إن اللفظة يونانية قديمة ومحرفة عن كلمة «فيلكس» وتعني الجزيرة السعيدة، وذهب البعض الى أن التسمية «برتغالية» ماخوذة من كلمة «فيلشا» البرتغالية ومعناها: الهواء النقي. ومن قال انها كانت تسمى الجزيرة البيضاء.

اما المستشرق. فورستر فقد قال بانها كانت تسمى في العصور القديمة جداً بجزيرة «افانا» أو ابفانا. وذكر انها تقع في راس الخليج العربي، وذلك في دراسته الجغرافية عن جزيرة العرب التاريخية سنة 1844.

ويرى بعض الباحثين ان اسم الجزيرة القديم جداً هو: «أجاروم» وبنوا رايهم هذا على الكتابات المسمارية التي وجدت على بعض الأواني المصنوعة من الحجر الصابوني، والتي عثر عليها في حفريات منطقة سعد وسعيد، ويتردد في هذه الكتابات اسم «اجاروم».

التاريخ

عُثر في الجزيرة على نسخة من كتاب الموطأ للإمام مالك برواية «يحيى ابن يحيى الليثي»، وقد وجده «عبد العزيز حسين» في مكتبة والده «ملا حسين»، وقد كتبه «مسيعيد بن احمد بن مساعد بن سالم»، في جزيرة فيلكا في سنة 1682. كذلك، فقد وقعت معركة الرقة البحرية بالقرب من جزيرة فيلكا في عام 1783

قرية

وكذلك قرية «القرينية» وهي اشهر قرى الجزيرة الزراعية، وظلت هذه القرية تنتج مختلف انواع الخضار وبعض الفواكه حتى نهاية الخمسينات من القرن الماضي.

وهناك قرى تاريخية أخرى لازالت محتفظة باسمائها القديمة مثل: قرية المطيطة ورويسية والدشت والقصور وام الدخان، وتشهد معالمها الدارسة على انها كانت في يوم ما عامرة.

اما اشهر المناطق القديمة جدا والتي اكتشف فيها اهم آثار الجزيرة التي تعود الى العصر اليوناني فهي: منطقة «سعد وسعيد» التي تقع في الجزء الجنوبي الغربي منها. وتحتوي ارضها على الحفريات التي اكتشف فيها المعبد اليوناني والقلعة اليونانية وقصر حاكم الجزيرة في ذلك العصر، وبعض دور السكن والكثير من المخلفات الاثرية الأخرى.

آثار في جزيرة فيلكا

حجر

كما اكتشف فيها أهم أثر تاريخي هو: حجر «ايكاروس» والذي عُرف من خلال الكتابة التي دونت عليه، ان هذه الجزيرة كانت تُعرف بهذا الاسم في عصر الاسكندر.

هذا ما كشفته البعثة الدنمركية للتنقيب عن الآثار والتي وصلت الى الجزيرة في نهاية فبراير عام 1958 برئاسة البروفيسور ب.ف جلوب أستاذ ما قبل التاريخ في جامعة آهوس بالدنمارك وأربعة من زملائه، وقد قام البروفيسور «جلوب» بجولة في أنحاء الجزيرة تفقد خلالها المعالم الاثرية فيها، وقال عبارة مشهورة وقتها: «ان هذه الجزيرة بمثابة متحف مفتوح للآثار».

البحري.

ففي المجال البحري ظهر فيها الكثير من الربابنة الكبار ترك بعضهم مصنفات بحرية مهمة، وقادوا أكبر السفن التجارية الى سواحل الهند وشرقي افريقيا، كما كان يستعان بخبرتهم الملاحية بعض نواخذة دول الجوار في قيادة سفنهم الى موانئ الخليج العربي وبحر العرب.

كما ظهر فيها الكثير من العلماء الأجلاء والشعراء والفنانين والقضاة والمستشارين والرياضيين ممن تبوأوا مناصب عليا في الدولة.

«ايكاروس»

ويرون أن هذا الاسم ربما يكون الاسم القديم لجزيرة فيلكا خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد، وأن هذا الاسم سبق اسم «ايكاروس» الذي أطلقه عليها الاسكندر.

وظلت هذه الاقوال والآراء والاجتهادات غير معززة بالدليل القاطع الى أن جاءت البعثة الدنماركية للتنقيب عن الآثار الى الجزيرة في نهاية فبراير عام 1958، واكتشفت فيها آثار حجر يعود تاريخه الى عصور ما قبل الميلاد اطلق عليه فيما بعد حجر «ايكاروس» وباكتشاف هذا الحجر الاثري المهم تأكد أن هذه الجزيرة كانت تُعرف في عصور ما قبل الميلاد باسم جزيرة «ايكاروس»، ومن خلال اكتشاف هذا الحجر ايضا اتضحت حقيقة أخرى وهي ان لفظة فيلكا ليست يونانية ولم تكن تسمى بها الجزيرة خلال عصور ما قبل الميلاد.

الدنماركية

وأعقبت البعثة الدنماركية بعثات أخرى للتنقيب عن الآثار، أهمها: البعثة الفرنسية التي بدأت اعمالها في عام 1983 بالموقع نفسه أولاً وانتقلت بعد ذلك الى مواقع أخرى. وجزيرة فيلكا ليست غنية بالآثار فقط، فهي كانت غنية بأهلها وبأرضها وشواطئها الثرية بالخيرات. فقد كانت تنتج كميات كبيرة من الحبوب ستويا وبخاصة القمح والذي يزيد انتاجه عن خمسين طنا يكفي للاستهلاك المحلي والباقي منه يصدر الى مدينة الكويت.

كما كانت سفنها البخارية الخشبية في الخمسينات وما قبلها تصل ميناء الكويت يوميا محملة بعشرات الآلاف من سمك الزبيدي الذي اشتهرت به الجزيرة وذلك لبيعه في أسواق العاصمة، فضلاً عن المنتوجات الزراعية وبخاصة الجزر والبطيخ والرقي والخضراوات الورقية التي تصدر الى أسواق الكويت ايضا من قبل تجار الخضار «الطرابيح» الذين كانوا يتفقون مع اصحاب المزارع لشراء منتوجهم السنوي. وهي غنية بأهلها حيث انجبت العديد من الرجال في مختلف المجالات.

الدشت

تقع بقايا أساسات هذه القرية في الشمال الشرقي من الجزيرة، ويطلق أهالي الجزيرة على هذه الأساسات «خرايب الدشت».

وقد كانت هذه القرية آهلة بالسكان حتى منتصف القرن التاسع عشر، وفيها جامع كبير نقام فيه صلاة الجمعة. ويذكر بعض الأهالي من كبار السن ممن التقيت بهم أنهم سمعوا أن الشيخ عثمان بن سند العلامة الذي ولد في جزيرة فيلكا كان يؤم المصلين فيه أثناء زياراته الخاطفة الى الجزيرة.

والدشت كلمة فارسية تعني الصحراء، وكانت هذه القرية مفصولة عن ساحل الجزيرة بممر مائي، ومع مرور الزمن ردم هذا الممر والتصقت جزيرة الدشت بأرض الجزيرة، وتوجد حالياً بالقرب من هذا الساحل آثار لصخور مرجانية كبيرة كانت فيما مضى جزءاً من قرية الدشت القديمة وتبرز أحياناً عند الجزر، اشهرها صخرة كبيرة تسمى «الظاهرة» وسميت بهذا الاسم لأنها تظهر بوضوح في اثناء انحسار مياه البحر.

القرينية

القرينية تصغير لكلمة القرين التي أطلقت على مدينة الكويت في بداية تأسيسها، وهي من قرى الجزيرة القديمة والمشهورة والتي لا يزال ينبض في أرضها عرق الحياة على شكل بقايا مجموعة من أشجار النخيل والسدر وأطلال البيت الكبير الذي بناه الشيخ جابر الصباح في نهاية القرن التاسع عشر.

في الغالب أن لفظة «فيلكة» أو «فيلجة» كما ينطقها الأهالي، هي لفظة عربية، مشتقة من طبيعة أرض الجزيرة الخصبة، ومحرفة عن اللفظة العربية القديمة: «فلجة» ومعناها الأرض الطينية البيضاء المستخلصة للزراعة، ومأخوذة من التسمية العربية «فلج» وهو النهر الصغير.

وقد كانت هذه التسمية معروفة لدى العرب منذ القدم وأطلقت على هذه الجزيرة لما كانت تمتاز به قديماً من وفرة الزراعة وخصوبة التربة، وكثرة ينابيع المياه العذبة، بالاضافة الى كونها مركزا رئيسيا في الطريق التجاري ما بين البصرة وسائر موانئ الخليج العربي والهند وشرقي افريقيا، فقد كانت السفن تتردد – والى عهد قريب – بالمياه العذبة منها، وتحتمي قرب شواطئها ابان هبوب الرياح الشديدة.

تلفظ

وكانت تلفظ قديماً – حسب اجتهادي – «فليجة» بتقديم اللام على الياء، مع مرور الزمن حرفت وادخلت عليها الـ «ج» الفارسية فصارت تنطق «فليجة» وهي كما ذكرت ماخوذة في الاصل من لفظة «فلج» العربية وجمعها افلاج، وهي مجاري المياه العذبة.

وهذا غير مستبعد حيث أن ارض الجزيرة كانت في العصور القديمة، وما بعدها بعدة قرون عبارة عن غابة تغطيها مختلف انواع الاشجار، كما كان فيها عدة افلاج وهي مجاري مياه صغيرة تتخلل المزروعات، لذا لا يستبعد أن اسمها اشتق من تلك الأفلاج فسميت فيلجة نسبة اليها.

وهناك رواية محلية قديمة يتناقلها كبار السن في الجزيرة توضح هذا المعنى وتؤكده، وهي أن الجزيرة كان يتوسطها قديما فلج أو عدة أفلاج من المياه العذبة، وأن أول من قال بذلك خالد سالم محمد أول من قال في كتابه الأول جزيرة فيلكا لمحات تاريخية واجتماعية الذي أصدرته عام 1980، ونقل عنه بعد ذلك.

الزور

الزور هو الاسم القديم للساحل الغربي للجزيرة المقابل لمدينة الكويت، والآهل بالسكان. والزور في اللغة هو أعلى الصدر، وبما أن هذا الجزء من ساحل الجزيرة يمتاز بانه شاطئ رملي عريض ويرتفع عن سطح البحر فقد اشتق اسمه من هذه الصفة.

وقد كان هذا الساحل آهلاً بالسكان الى أن أتى الغزو الصدامي واكتسح كل جزء من أراضي الكويت بما فيها الجزر وأجبر الأهالي على النزوح عنها تاركين وراءهم بيوتهم وأمتعتهم وارثا طويلا من الذكريات والأحداث التي توارثوها عن الآباء والاجداد.

ويعود استقرار الأهالي في هذا الجزء الى منتصف القرن الثامن عشر بعد أن عمّ الوباء القرى القديمة التي كانوا يسكنونها وخلف وراءه الخراب والدمار.

تل سعيد

عثر في تل سعيد على الكثير من الآثار المهمة جدا والتي تعود الى عهد الاسكندر واهمها وأكبرها القلعة اليونانية وهيكل الآلهة المحلية كما اكتشف أحد الأعمدة الكبيرة بقاعدة مزخرفة، بالاضافة الى معبد يحتوي على العديد من التماثيل المختلفة الأحجام، وتاج عليه زخارف ورسومات على شكل سعف النخيل، ودلت الكتابات التي وجدت منقوشة على بعض الآثار التي اكتشفت في هذا التل على أن آثار هذا المكان تدل على انه كان مركزا ثقافياً وبيئيا واداريا للجزيرة في العهد الهلينيني.

كما عثر في هذا المكان ايضا على اهم اثر تاريخي هو حجر «ايكاروس» والذي تأكد من خلال الرسالة التي نقشت عليه أن هذه الجزيرة كانت تسمى في عهد الاسكندر بهذا الاسم وهو «ايكاروس».

وتبين أنه سُحب من مكانه والقي على الأرض بقوة، ظهر ذلك من تكسر أجزاء منه وطمس بعض حروف كلماته.

ويبلغ طول الحجر 116 سم وعرضه 62 سم والرسالة التي كتبت عليه باللغة الاغريقية وموجهة الى اهالي «ايكاروس» فيلكا وعدد سطورها 43 سطرا.

كما اكتشفت الى الشمال من هذا التل قلعة يونانية برزت مبانيها بصورة واضحة المعالم، وعثر في بعض غرفها على جرار كثيرة مختلفة الاشكال والاحجام بالاضافة الى عدد من الاختام التي صنعت محليا ومرسوم على وجهها صورا لحيوانات ونباتات واشكال انسانية عُرفت بعد ذلك باسم الاختام الدلونية وعددها 400 ختم، ودل ذلك على ان الجزيرة كانت ذات طابع حضاري محلي منفرد ومستقر منذ اقدم العصور البرونزية.

هذا تقرير مختصر عن الحفريات الأولى التي اجرتها البعثة الدنماركية للتنقيب عن الآثار في موسمها الأول، وتوالت بعد ذلك الاكتشافات الاثرية سواء من البعثة الدنماركية او البعثة الفرنسية للتنقيب عن الآثار التي اعقبتها.

سعيدة

تقع قرية سعيدة في اقصى الشمال الغربي من أرض الجزيرة، وقد كانت آهلة بالسكان حتى منتصف القرن التاسع عشر، وتمتاز بساحل طبيعي فسيح ودوحة كبيرة، وكان هذا الساحل فيما مضى ميناءً تجارياً يربط الجزيرة بجيرانها خاصة وانه يقابل ميناء الفاو العراقي وقريبا نسبيا منه. ولا تزال بعض آثار هذه القرية بارزة للعيان على شكل مقابر قديمة وبقايا أساسات مباني. وقد اكتشفت فيها حديثا آثار اسلامية منها مسجد اثري واضح المعالم.

رويسية

من المناطق الاثرية وهي منطقة قديمة ومشهورة عند أهالي الجزيرة نظرا لوجود قرية كانت آهلة بالسكان في هذه المنطقة، وتبدو على بعض مساحات أرضها بقايا أساسات لبيوت وقبور دارسة. ويتناثر الحصى وكسر الفخار والزجاج فوق أرضها لعدة أمتار مما يدل على انها كانت مسكونة الى عهد ليس ببعيد.

آثار الاسكندر المقدوني

العملات التي وجدت في فيلكا

جمال وروعة الجزيرة